وظيفة الألسن

مقاربة لسانية بين ابن جني وأندريه مارتينه

أ.م.د. عبد الزهرة آل سالم

أستاذ مساعد

الجامعة المستنصرية

العراق

الاستلام	٢٠١٨/٣/١٨	المراجعة	٢٠١٨/٤/١٤	النشر	٢٠١٨/٤/٣٠

الملخص:

أعرض في هذا البحث ظاهرة لسانية كان لها صدى مدوٍ منذ مطلع القرن العشرين في الغرب عند البنيويين والشكلانيين والتحليليين ..الخ، ومن ثَمَّ تتبع اللسانيون العرب للدراسات الغربية، ولاسيما الوظيفة اللغوية من طريق ما طُرح من مفهومات إجرائية ومصطلحات حداثوية، وهذا التتبع للدراسات اللسانية من قبل الدارسين العرب كان لها الأثر الواضح في تطور الدراسات اللغوية العربية بصورة لافتة للأنظار، وهذا لايعني أنَّ تراثنا اللغوي خالٍ من هذه المفهومات اللسانية إذ إنَّ مفهوم اللسانيات ولاسيما الوظيفة اللغوية لايخلو منها كتاب لغوي بدءاً من سيبويه إلى المتقدمين من النحاة العرب، ولكن ربما نجد في هذه المصنفات في بعض الأحيان غياب {المصطلح} كما ذكرت في أبحاثي إلتي تناولت فيها الموضوعات اللسانية، فهذه الدراسات هي نتاج الفكر اللغوي العربي طرحت بطريقة على وفق ما جاءت به الدراسات الغربية.

ارتأى الباحث أن يعرض لمدرستين في الوظيفة اللغوية إحداهما تمثل واحدًا من أعلام التراث اللغوي (ابن جني) الذي وجدت عنده ملامح التفكير اللساني ولاسيما في كتبه "الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، والمحتسب"، وهو يُعدُّ بحسب رأيي الرائد الأول في الدراسات الوظيفية، والثاني العالم الفرنسي (أندريه مارتينه) رائد المدرسة الوظيفية في الدراسات الألسنية الغربية، إذ أخذت عنده الوظيفة اللغوية مفهومًا واصطلاحًا مساحة واسعة في تحليلاته اللغوية.

جاء هذا البحث مقسمًا على مطالب؛ الأول: الوظيفة ومبادئ الوظيفية تناولت فيه الوظيفة لغة واصطلاحًا ومن ثمّ تطرقت إلى وظيفة اللغة الألسنية الذي عرضت فيه آراء ابن جني ومارتينه فيما يخصّ هذا الجانب من اجتماعية اللغة وتواصليتها، وبعدها جاء مطلب التقطيع المزدوج أو ما يُسمّى اللفظ المزدوج، وختمت البحث بظاهرة صوتية انماز بها كلّ من العالمين اللغويين وهي علم الأصوات - الفونولوجيا - خاتمًا البحث بأهم نتاجاته.

الكلمات المفتاحية:

وظيفة الألسن، الأصوات، اللسانيات، ابن جني، أندريه مارتينه.

Language Function

A linguistic approach between Ibn Jannie and André Martineh

Dr. Abdel Zahra Al Salem

Associate Professor

Al-Mustanseriya University

Iraq

Received	18/3/2018	Revised	14/4/2018	Published	30/4/2018

Abstract

The researcher saw that the presentation of two schools in the language function, one of which represents one of the flags of the linguistic heritage (Ibn Jannie), which found the features of linguistic thinking, especially in his books "characteristics, the secret of the industry of expression, and calculated" He is, in my opinion, the first pioneer in functional studies And the second French scientist (André Martineh), a pioneer of the functional school in Western Languages studies, where he took the language function concept and terminology a large area in his linguistic analyzes.

This research is divided into sections, first: the job and the principles of functional in which the job dealt with language and terminology and then touched on the function of the language in which the views of Ibn Jannie and Martini were presented in relation to this aspect of social language and its continuity And then came the requirement of dual chopping or the so-called double-word, and concluded the a voice phenomenon mentioned by Ibn Jannie and Martineh, which is the phonology - the Science of Voices - and then the search of the most important results

Keywords:

Language Function, Phonology, Linguistics, Ibn Jannie, André Martineh.

الوظيفة ومبادئ الوظيفية:

مصطلح الوظيفة أو الوظيفية أخذ مساحة في الفكر اللغوي، مفهوماً في تراثنا اللغوي ومفهوماً واصطلاحاً في الفكر اللغوي اللساني، ففي المقولات اللغوية المعجمية ورد ذُكر هذا اللفظ بدلالات مختلفة بدءاً من (الخليل) وانتهاءً إلى آخر معجم ، ودلالات هذا اللفظ جاءت على النحو الآتي:[١]

- الوظيف من كلّ شيء: ما يُقدر له في كلّ يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوظف؟
- وظف له توظيفاً على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله تعالى ؟
- وظف الشيء على نفسه، ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه ؟
- يقال: أمر يظفهم، أي: يتبعهم كأنّه يجعل وظيفة بإزاء وظيفة ؟
- وظيفة من الرزق، كما يقال: وظيفة في العمل، وهو لفظ مولد[٢]
- ما يستند إليه عمل ليؤديه.[٣]

ويبدو أنّ المعجميين لم يصرحوا بدلالة اللفظ على { الدور} من جانب ، ولم يذكروا مصطلح { الوظيفة اللغوية } بما يضّمن من دلالات { تواصلية اللغة } ، أو الدور الذي يقوم فيه { بالربط بين مكونات التراكيب الجملية } ، بيد أنّ مفهوم هذا المصطلح كان حاضراً في أورقة علماء العربية بالمعنى الذي ذكره الألسنيون - ليس بالتعريف الإجرائي - إذ إنّ ملامح التحليل الوظيفي بدت واضحة في أطروحاتهم ، وبمعنى آخر " التوافق بين التراكيب اللغوية وبين ملابسات الخطاب ، وتفسير الأولى على أساس من الثانية بمثابة الخلفية الأبيستمولوجية التي حركت علماء العرب في فروع معرفية عديدة نحو أقوال اللغة والنحو والبلاغة والتفسير بشرط أن تؤخذ هذه الفروع التراثية في مجموعها لا أن تؤخذ أجزاء أو متفرعات"[٤].

وقد أشار إلى الملمح في تراثنا اللغوي ثلاثة لغويين معاصرين :

الأول : (المتوكل) الذي يرى " أنّ الإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول إذا عدّ في مجموعة (نحو ، بلاغة ، أصول فقه ، تفسير) أي : منظور ينتظم مبادئ وظيفية"[٥].

الثاني : (جعفر دك الباب) الذي يرى " أنّ بين نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني وبين نظرية ماثيزوس الوجهة الوظيفية للجملة ، ونقاط تقاطع عديدة تدلّ على تقاربهما الوظيفي"[٦].

الثالث : (عبد الرحمن الحاج صالح) عندما تحدث عن القيمة المنهجية للربط بين اللغة وأحوال استعمالاتها ، فاللغة كما يتصورها ابن جني وسيبويه وغيرهما ممن ظهر في الصدر الأول هي استعمال للناطقين بها ، أي : إحداثهم لفظاً معيناً من أيّ معنى وغرض في حال الخطاب الذي يقتضي هذا المعنى وهذا اللفظ ، فهي ليست صوتاً ، ولا نظاماً من القواعد ولا معنى مجرداً من اللفظ الذي يدلّ عليه ، ولا أحولاً خطابية معزولة من كلّ هذه الأشياء[٧].

ويرى الباحث أنّ ملامح الوظيفية اللغوية بدت واضحة في الفكر اللغوي عند الخليل وتلامذته ولاسيما سيبويه ، وتجلى ذلك واضحاً في نظرية العامل ، وهذه النظرية هي رصد العلاقات المعنوية واللفظية في التركيب[٨] وكذلك رصد العلاقات التخاطبية بين المتكلم والمستمع ، ونجد هذا الملمح في نظرية التعليق للجرجاني أيضاً ، إذ إنّ التعليق يحدد

بوساطة القرائن معاني الاشتقاق وتفسير العلاقات بينها على صور أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية[٩].

وفي الفكر اللغوي اللساني نجد هذه النظرية قد أخذت حيزاً كبيراً - مصطلحاً ومفهوماً - ولاسيما في مدرسة براغ ، فذكروا معنيين للوظيفة اللغوية وهي على النحو الآتي[١٠]:

الأول : الدور الذي تؤديه اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ، وهي التواصل .

الثاني : العلاقات التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد في الدراسات الوظيفية للجملة أو العلاقات المقترحة في إطار الجهاز الوظيفي المعتمد .

ومن هذين المعنيين لمصطلح الوظيفة اللغوية يمكن تبيين بعض القضايا وهي على النحو الآتي :

- العلاقة التي تقوم بين عناصر التركيب الجملي كانت حاضرة ، وواضحة في المقولات العربية القديمة على الرغم من عدم حضور المصطلح .
- اهتمام اللسانيين بالمعنى الأول إذ ركزوا على الدور المنوط بالبنيات اللغوية ، وهو تواصليتها في مجموعة مجتمعاتية .
- هناك نوعان من العلاقات المترابطة ، علاقة بين الألفاظ داخل التركيب الجملي من جهة ، وعلاقة التراكيب الجملية داخل النصّ الخطابي ، وبها مجتمعة تحقق التواصل .

ويبدو أنّ هذين المعنيين اللذين ذكرهما (المتوكل) هو خلاصة ما ذكره (سيمون ديك)عن الوظيفة اللغوية الذي حددها بثلاثة أنماط[١١]:

الأول : الوظيفة الدلالية ، هي الوظائف التي تُحصر في الأدوار الدلالية (منفذ ، متقبل ، هدف ، أداة ، زمان ..) وتستند إلى حدود الجمل على وفق إسهام الذوات المحال عليها في الواقعة الدال عليها المحمول .

الثاني : الوظائف الوجهة ، هي التي تستند إلى الحدود بالنظر إلى { الوجهة } التي ينطلق منها المتكلم لتقديم فحوى خطابه للواقعة التي يتضمنها الخطاب .

الثالث : الوظيفة التداولية ، إنّ إسناد هذه الوظائف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسّياق في بعديه المقامي والمقالي وبخاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلي معين ، ويرى (المتوكل) أنّ الوظائف الدلالية والتداولية ترد في كلّ اللغات الطبيعية ، في حين أنّ الوظائف الوجهية لا يثبت ورودها إلاّ في بعض اللغات[١٢].

ويُعدُّ العالم الهولندي (سيمون ديك) من الأوائل الذين وضع تعريفاً إجرائياً للوظيفة اللغوية في الدراسات الألسنية ، وهو العمل أو الدور الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ ، وتعني دلالياً : ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والبيان ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة وتابعة لها[١٣]، والألسنيون من المدارس الأوربية الذين جاءوا بعد (ديك) لم يخرجوا عن تعريفه للوظيفة اللغوية كـ (كونو) الذي عرّفها أنّها مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر البنية بالإضافة إلى علاقاتها البنيوية ، ويحدد التراكيب على أساس وظائفها التواصلية[١٤]، أمّا في الدرس اللساني العربي المعاصر فقد طوع (المتوكل) الوظيفة اللغوية للنحو العربي إذ يرى أنّ اللغة تُسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية ، من هذا المنظور تعدُّ العبارات اللغوية ، مفردات كانت أم جملاً وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة وتقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس[١٥]، وهذه النظرية ترى أنّ الأهداف

التواصلية هي التي تحدد خصائص بنيات اللغات التي تستعمل لتحقيقها[١٦]، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات، بالأغراض التبليغية التواصلية التي يستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها[١٧]، ويفسر (الحاج صالح) الوظيفة بالعمل أو الدور المؤدّى(التبليغ) يقول متحدثاً عن مدرسة براغ : " أخصّ شيء انمازت به هذه المدرسة من غيرها هو اعتمادها الأساسي على العمل أو الدور الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ ، ولهذا سُميت النزعات المتفرعة عنها ومنها مدرسة (مارتينه) الفرنسية بالوظيفية "[١٨]، وعلى نحو ما ذكُر تكون الوظيفة اللغوية : الدور أو العمل الذي تؤديه الألفاظ داخل النصّ الخطابي ، دلالياً ، وتركيبياً ، وتداولياً ، وما تؤديه مجتمعة في العملية الإبلاغية لتحقيق الهدف وهو التواصل ، ولا يتحقق ذلك إلاّ بأمرين اثنين : القدرة اللغوية للمتكلم ، ووجود الأركان الأساسية للتخاطب " متكلم ، مستقبل ، رسالة لغوية " .

وللوظيفة اللغوية مبادئ أساسية تقوم عليها النظرية وتتمثل على النحو الآتي[١٩]:

أولاً : وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي التواصل ، فاللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها جزئياً على الأقل ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية { التواصل } ، إذ يرى التيار الوظيفي أنّ اللغة وسيلة الإنسان في التواصل {التبليغ } ، وهذا ما أشار إليه علماء اللغة ولاسيما ابن جني عند تعريفه للغة ؛ لكونها أداة لتحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس ، والمعتقدات والتأثير في المخاطب وإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرد أخبار بواقعة ما.

ثانياً : الملكة اللغوية : هو القدرة اللغوية للمتكلم - السامع ؛ لكون هذه القدرة مجموعة القواعد البنيوية - الوظيفية التي تمكّنه من استعمال عبارات لغوية معيّنة لتأدية أغراض معيّنة في مواقف تواصلية معيّنة.

ثالثاٍ : يجب أن يصاغ النحو بحيث تكون الخصائص التركيبية الصرفة ناتجة عن قواعد تتخذ دخلاً لها البنية المُمثل فيها الخصائص الدلالية والتداولية.

رابعاً : يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية :

- الكفاية النفسية "adequacy Psychologicay "
- الكفاية التداولية " Pragmatic adequacy "
- الكفاية النمطية " Typological adequacy"[٢٠].

خامساً : العلاقة بين مكونات الجملة { الدلالية ، والتداولية ، والتركيبية } ما تقتضيه النظرة الشمولية للخطاب من ضرورة مراعاة هذه الألفاظ المكونة له ، وعليه فإنّ التكامل بين هذه المستويات ضروري[٢١].

هذه أهم المبادئ التي ذكرها الوظيفيون ، التي بدت واضحة عند (ابن جني) و (أندريه مارتينه) الذي يعدّ من أقطاب حلقة براغ الوظيفية .

وظيفة اللغة الألسنية:

ظهرت في الدراسات الألسنية مدرستان اهتمت بالدرس الوظيفي إحداهما يمثله واحداً من أعلام التراث اللغوي (ابن جني) الذي وجد عنده ملامح التفكير اللساني الوظيفي ولاسيما في كتابه " الخصائص ، و سرّ صناعة الإعراب ، والمحتسب " ، وهو بحسب الواقع المقروء ، والمدروس يُعدّ الرائد الأول في هذا المجال ، والثاني يمثله واحداً من أعلام مدرسة براغ التي كان لها باع طويل في الدراسات الوظيفية ، وقطباً من أقطابها ، العالم الفرنسي (أندريه مارتينه) ، إذ

أخذت عندهما الوظيفة اللغوية مفهوماً واصطلاحاً مساحة واسعة ، والتي أفادت الألسنيين في التحليل اللغوي ، ويمكن بيانها على النحو الآتي :

اللغة نتاج اجتماعي تواصلي:

توصف اللغة أنّها غير ساكنة ، وفي الوقت تمتاز بالتطور ، وهي وسيلة اتصال للوصول إلى غايات وأهداف ، وهي ظاهرة اجتماعية ؛ لأنّها وليدة المجتمع ؛ لكونها نظاماً يشترك فيه الأفراد في اتباعه ، أو يتخذونه أساساً للتعبير عمّا يجول في خواطرهم ، وفي تفاهم بعضهم مع بعض[٢٢]، وإنّ استعمال أيّ لغة يعتمد على البنى الاجتماعية بأشكالها ، وصيغها كافة ؛ لأنّ اللغة مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلاف بيئتها من مجتمع لغوي إلى أخر ندرك عند ذلك القيمة الافتراضية ، والاستدلالية الوجهة التي ينطلق منها هذا الاتجاه ، إذ أنّ أساليب التخاطب اللغوي تكون شاهدة على انحدارها نحو المقاصد المقامية المختلفة الذي يلفظ من خلالها هذا النصّ أو ذاك التركيب[٢٣]، وقد أشار(ابن جني) إلى أنّ اللغة ما هي إلاّ نتاج للمجتمع الذي أنشأها ، إذ ذكر ذلك في المواضع الآتية :

الأول : عند تعريفه للغة الذي ظهرت تأثيراته في الفكرين اللغوي العربي القديم ، والفكر اللساني ، فاللغة عنده : "أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[٢٤].

الثاني : في قوله : إنّهم ذهبوا إلى أنّ " أصل اللغة لابدّ فيه من المواضعة ، قالوا : وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكلّ واحد منها سمة ولفظاً "[٢٥].

الثالث : قوله في باب إنّ العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نُسبناه إليها ، وحملناه عليها : " هذه اللغة لهم ، وتصرّفها على ألسنتهم ، اتفاقاً وقع ، حتى لم يختلف فيه اثنان"[٢٦].

الرابع : تنبه (ابن جني) إلى الفرق بين اللسان إذا كان عضواً ، واللسان إذا كان بمعنى اللغة والكلام ، فاللغة أصوات ، والمهمة الكبرى في إصدار هذه الأصوات مناطة باللسان، أي : يمكن أن يقال : إنّ اللسان هو الأداة الذي بوساطته تكوّن الأصوات ، وهذه الأصوات متجمعة تكوّن { الكلام } أي : اللغة ، قال : " اللسن واللسان كالريش والرياش فعِل ، وفعِال بمعنى واحد هذا أن أردت باللسان اللغة والكلام ، فإن كان أردت به العضو فلا يقال لسن إنّما ذلك في القول لا بالعضو" [٢٧]، ومما ذكره (ابن جني) آنفاً يمكن بيان الآتي :

- اجتماعية اللغة ، إنّ المجتمع هم من يخلق اللغة ، فأيّ فرد " يُخلق ضمن نظاماً لغوياً ، وإذا حاول أيّ فرد أن يخرج كلّ الخروج على النظام اللغوي بأن يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها يصبح جزءاً من ضروب العبث العقيم"[٢٨].
- أشار (ابن جني) إلى أنّ هناك قوانين لغوية تتحكم باللغة ترصد نشأتها ، وتطورها ، وما يعتريها من شؤون واستكشاف يبلغ تأثيرها عما عداها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، وهذا أمر هام في اللسانيات الاجتماعية[٢٩].
- اللغة وسيلة يمكن بوساطتها الوصول إلى الغرض الذي يروم المخاطب بيانه وبها يتمّ { الاتصال } بين المجموعات المتخاطبة[٣٠]، فنجد عنده اجتماعية اللغة ، وبها يتحقق الاتصال بين المجموعات البشرية ، أو بين مجتمعين لا ينتمون إلى فصيلة لغوية واحدة ، لكنّ هذا يُعدُّ أمراً صعباً ؛ لكون المرسل غير قادر على توصيل رسالته إلى المتلقي.

- لتحقيق أيّ غرض لغوي لا بدّ من وجود { القدرة اللغوية } لدى المتكلم ، ومعرفته بإصول لغته وقواعدها - صوتية ، وتركيبية ، وتداولية ، ومعرفته أصول اللغة المكتسبة وقواعدها ؛ لأن ما يحصل عليه الإنسان من مظاهر حضارية من علوم ومعارف ، فإنّه يشعر أنّ لديه قدرة لغوية لتحقيق ما يقصده .
- يُفهم من ذلك أنّ ملامح التفكير الوظيفي اللغوي عند(ابن جني) كانت حاضرة بدءاً من تعريفه للغة ، ومن ثمّ بحثه في أصل نشأة اللغة وقفاً هي أم اصطلاحاً ، وتفريقه بين اللغة واللسان ، وانتهاء بتحليله الصوتي والصرفي والتركيبي ، وهذه الملامح التفكيرية استند إليها الدرس اللساني الغربي ، وإذا كان (سيمون ديك) أول من أشار إلى مصطلح الوظيفة اللغوية ، فلا يمكن تخطي(ابن جني) بريادته في طرح مفهوم الوظيفة اللغوية .

ونجد مصطلح " الوظيفة اللغوية " ومفهومها قد استقر عند مدرسة براغ ، ولاسيما عند الفرنسي) أندريه مارتينه Martineh André (الذي نظر إلى هذه النظرية نظرة شمولية تحليلية دقيقة ، وتمثل ذلك في محاضراته ، ومؤلفاته التي كانت تضم معظم آرائه الوظيفية للغة ، وجاءت مقاربة لما ذكره (ابن جني) ، وهي على النحو الآتي :

اولاً : يقول :إنّ للغة نظام ... تستعمل في المقام الأول - تقريباً - عماداً للتفكير إلى الحدّ الذي فيه نتساءل عن جدوى أيّ عمل ذهني يعزوه الإطار اللساني ، وهي أداة للتواصل تحلل الخبرة الإنسانية من خلالها بطريقة تختلف من لسان إلى آخر في كلّ متحد اجتماعي[٣١]، ومن هذا المفهوم الذي ذكره مارتينه للغة يتضح الآتي:[٣٢]

- الملاءمة التواصلية : وهي التي تسمح لفونيم أو عنصر فونولوجي أن يضمن وظيفة تمييزية في لسان معين ، وذلك بتناقضها مع الوحدات الأخرى ذات المستوى نفسه ، وتنتفي الملاءمة عندما تفقد الوحدة المذكورة هذه الوظيفة التمييزية.

- يؤكد أنّ اللسان عماد التفكير ؛ لأنّ الفكر هو الذي ينظم التجربة ، وفي الوقت نفسه هو أداة التواصل داخل المجتمع ؛ لكونه المسئول عن نقل الرسالة المفهومة ، وغير المفهومة.

- إنّ اللسان عنده أداة التواصل فهو يمتاز بالطابع الاجتماعي من جهة ، وارتباطه بالجماعة اللغوية من جهة أخرى ، إذ ذكر { المتحد الاجتماعي } أشخاص يتفاهمون فيما بينهم ، لكن ثمة أشخاص لا يتفاهمون في الوهلة الأولى ، أي أنّه يتحدث عن أشخاص أحادي ، وثنائي اللغة ، ويبدو أنّه يتحدث عن { الاكتساب اللغوي } ، يقول : " إنّ أيّ لسان مكتسب لا يُعرف مطلقاً - على الوجه الأكمل - أكان المقصود اللسان الأول المكتسب ، المسمى { أمّاً } أم أيّ لسان آخر... فالقول : إنّه يمكننا أن نماثل لساناً أول مُكتسباً بـ { إتقانه } فلا معنى لهذا الكلم ؛ لأنّ هذا اللسان الأول في الأغلبية الفائقة الحدّ للحالات - لا يستعمل على وفق المعايير ويفضل القول : إنّ هذا اللسان مستعمل لإرضاء المحيط شرط أن لا يتغير هذا المحيط في أثناء المسار والمحيط الذي ماثل الفرد بوصفه منتمياً إلى المتحد الاجتماعي "[٣٣].

- يتجلى المنظور الوظيفي على المستوى الكلامي الذي يعبر عن القيمة الاتصالية للغة من طريق تفاعلها مع الواقع الذي توجد فيه ، لذا يؤكد في أكثر من موضع أنّ للغة الإنسانية وظيفة أساسية هي تأمين التواصل بين مختلف مستعمليها ؛ لارتباطها بالمجتمع ، وعلاقاتها الثقافية[٣٤].

ثانياً : اثبت مصطلحي { اللغة } و { اللسان } كلاً في سياقه إذ إنّ نظريته تقوم أساساً على التمييز بينهما وظيفة ودلالة ، فاستعمل كلمة لسان بمعنى { Languge } ولغة إنسانية بمعنى { humain Languge } ، فالأول خاص يريد به اللغة المتحققة ، والمتعينة ، والثاني عام يريد به اللغة بشموليتها وعالمية سماتها ، وخصائصها[٣٥]، وهو يوافق في ذلك آراء

(سوسير) في ثنائيته للتميز بين اللغة والكلام ، إذ يرى (سوسير) أنّه لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان ، فما اللغة إلا جزء منه، بل عنصر أساسي ، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان[٣٦]، وهذا ما ذكره (ابن جني) في تفريقه بين اللسان بوصفه عضواً وبين اللسان بوصفه لغة كما ذُكر، إذ أنّ تفكيره اللغوي كان منصباً على دراسة طبيعة اللغة الإنسانية ، وخصائصها ، واشتقاقها ، وتطورها ، وهنا ثمة سؤال ؟ أنّ المدارس الألسنية كـ "مدرسة براغ" التي ثبّتت المصطلحات للمفهومات اللغوية ولاسيما " الوظيفية " منها ، في الوقت التي تأثرت فيه بالمدارس الألسنية التي سبقتها ، اطلعت على المورث العربي القديم أم أنّها اقتصرت على الموروث اللساني الأوربي ؟؟ ، أعتقد أنّ قراءتهم الوصفية للغة تجاوزت لتصل إلى التفكير اللغوي في التراث العربي .

اللفظ المزدوج "التقطيع المزدوج":

اللفظ المزدوج للغة أو التقطيع المزدوج ترجمة للمصطلح اللساني { Articutation Double } وهي ظاهرة تدخل في إطار اهتمام اللسانيين بقضية التقطيع على مستوى الدال والمدلول ، وهي قديمة بمفهومها ، إذ تمتد جذورها - محللة - على يدّ علماء العربية كالخليل وسيبويه ، إذ إنّها لم تقتصر على اللغة العربية فحسب وإنّما عُرفت في كلّ اللغات ، ولكن بدرجات متفاوتة ، يتأثر بها التركيب والصوت[٣٧]، ووجدت في لغتنا على صور متعددة كـ حذف كلمة مقابل وجود علامة إعرابية تنوب عنها ، ونظرة صوتية من طريق ما تؤديه الأصوات من معنى ، أو بناء الكلمة أو تركيبها ، وعلى هذا يكون معنى { التقطيع المزدوج } كما جاء عنده : أنّه مرتبط بشرط الجهد الأقل ، واذاً فهو بُعدٌ مصدراً آخرا من مصادر تغيير المعنى[٣٨]، وعلى الرغم من اصطلاحية اللفظ لسانياً ، نجد (ابن جني) تناول هذه الظاهرة على النحو الآتي :

أولاً : إذا كان المقطع تتابع من الأصوات الكلامية له حدّ أعلى أو قمة إسماع طبيعية - بغض النظر عن العوامل الأخرى مثل النبر والتنغيم - تقع بين حدين أدنيين من السماع[٣٩]، فهل عرف (ابن جني) المقطع ؟ وللوقوف على ذلك أذكر الآتي :

- أورد مصطلح المقطع للدلالة على مخرج الحرف ولم يقصد ما يدلّ عليه المفهوم الحديث قال : " أعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداد واستطالة ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[٤٠].
- أورد المقطع بوصفه مفهوماً يفيد الصيغ العربية قال " أنّ ياء نحو ميزان ، وميعاد ، انقلبت عن واو ساكنة ؛ لثقل الواو الساكنة بعد الكسرة ، وهذا أمر ليس في معرفته ، ولا شكّ في قوة الكُلفة في النطق به ، وكذلك قلب الياء في موسِر، وموقِن واواً ؛ لسكونها وانضمام ما قبلها ، ولا توقف في ثقل الياء الساكنة بعد الضمة ؛ لأنّ حالها في ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة ، وهكذا كما تراه أمر يدعو الحسّ إليه " ، ومن ذلك تسكينه لام الفعل إذا اتصل بها علم الضمير المرفوع ، نحو ضربت وضربن ، وضربنا ؛ لأنّهم أجروا الفاعل هنا مجرى جزء من الفعل[٤١].

ثانياً : قسم الدلالات من حيث القوة والضعف على ثلاث مراتب ، فأقواهن الدلالة اللفظية (الصوتية) ، والدلالة الصناعية (الصرفية) ، والدلالة النحوية (التركيبة) ، وإنّ سبب قوة الدلالة اللفظية عن سائر الدلالات الأخرى أنّ معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره[٤٢]، وإذا ما نظرنا إلى المراتب الثلاث نجد أنّه بدأ بالمرتبة الصوتية ؛ لكونها الأقوى متدرجاً إلى أعلى مرتبة وهي النحوية ، وعلى هذا يمكن أن تكون المراتب التي ذكرت على النحو الآتي:

" قام " دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال ، وليست في حيز الضروريات ألا ترى حين تسمع " قام " قد عرفت حدثه وزمانه ، ثم تنظر فيما بعد فتقول : هذا فعل ولابدّ من فاعل

قام زيد

دلالة لفظه على معناه

الدلالة المعنوية (النحوية)

قام يقوم مقام " صيغته " ، إنّها وإن لم تكن لفظاً فإنّها صور يحملها اللفظ ، ويخرج عليها ، ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه ، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به

دلالته ثابتة على زمانه

الدلالة الصناعية (االصرفية)

المخطط من عمل الباحث ، مستندا إلى ما جاء في الخصائص ٩٨/٣

ق " من أصوات اللهاة " - ا " من الأصوات الهوائية " م " من الأصوات الشفوية "

دلالة لفظه على مصدره

الدلالة اللفظية (الصوتية)

ولو أنعمنا النظر نجد أنّ (ابن جني) قد ركز على الدلالة اللفظية { لصوتية} ا إذ جعلها أقوى الدلالات ، وتُعدُّ بمثابة القاعدة الأساسية للدلالتين { الصناعية } ، و { المعنوية } هذا من جانب ومن جانب آخر نلحظ من طريق هذا التقسيم الدلالي تقطيعاً مزدوجاً الذي يبدأ من الدلالة المعنوية أي : التركيب النحوي - قام زيد - إذ نوه على أنّ الفعل "قام " قد عرفنا حدثه ، وزمنه ، ولكي يكتمل التركيب الدلالي المعنوي لابدّ لهذا الفعل من فاعل { زيد} أي : أنّ الجملة الإسنادية تُقطع إلى فعل وفاعل، ومن ثمّ ينتقل إلى التقطيع الثاني وهو معرفة الصيغة التي جاء بها الفعل ، أمّا التقطيع الثالث فهو الدلالة اللفظية - دلالة اللفظ على المصدر - وعنده تُعدّ أقوى الدلالات ، والسبب في قوتها أن معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة " ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ، ودلالة بناءه على زمانه ودلالة معناه على فاعله[٤٣]، دلالته بلفظه (حروفه) دلالة وظيفة مطّردة على القيام والحدث ، وهذه الدلالة تستمد من الدلالة الصوتية { اللفظية } من إنّها إطار اللفظ ، والقالب الذي تصب في الألفاظ ، وتبنى على منواله[٤٤]، قال في أثناء حديثه عن الدلالة الصوتية التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات : " ومن ذلك قولهم صعَد وسعَد فجعلوا الصاد - لأنّها أقوى - لما فيه أثر مشاهد يُرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك ، وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يظهر ولا يشاهد حساً إلا أنّه مع ذلك فيه صعود الحد لا صعود الجسم"[٤٥].

سعد لا يظهر ولايشاهد حساً

صعد يظهر ويشاهد حساً

س أضعف دلالة من ص؛ لكونه من الأصوات الخفيفة

ص أقوى دلالة من س ؛ لكونه من الأصوات التي يضيق نطقها عند مجرى الهواء

ولـ (مارتينه) وقفة مع التقطيع المزدوج ، ولاسيما في كتابه (مبادئ اللسانيات العامة) الذي ذكر فيه مصطلح التقطيع ، وتعريفه ، وتقسيماته ، فيعرف التقطيع للغة وهو " ذلك الذي يقوم على أنّ كلّ ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها ، أو كلّ حاجة من حوائجنا نود تعريف غيرنا بها تحلل إلى متوالية من الوحدات لكلّ منها صورة صوتية ومعنى"[٤٦]، ويذكرمفهوم التقطيع عند تعبيره عمّا يعنيه بـ (لسان) ، قال : " فاللسان أداة تبليغ يتمّ وفقها تحليل التجربة البشرية بكيفية مختلفة ، عند كلّ قوم إلى وحدات ذات محتوى دلالي ومركب صوتي هي الكلمات ، وإنّ المركب الصوتي يتقطع بدوره إلى وحدات متوالية هي الصوتيات ، وتكون بعدد محدود في كلّ لسان إلا أنّ طبيعتها ، وعلاقاتها المتبادلة تختلف أيضاً من لسان إلى آخر "[٤٧]، ونلحظ في هذين المفهومين أموراً عدة وهي على النحو الآتي :

- إنّ التقطيع خاص باللغة البشرية ؛ لكونها أصواتاً بها نعبر عن أفكارنا وتجربتنا .
- اللغة هي عبارة عن ائتلاف بين مجموعة من الكلمات ذات محتوى دلالي ومركب صوتي .
- إنّ الكلمة دليل هي وحدة ذات وجهين : وجه مدلول ، وهو معناها أو قيمتها ، ووجه دالّ يبينها بصورة صوتية ، وهو مركب من وحدات تُسمّى الصوتيات[٤٨].

إنّ التقطيع المزدوج عبارة عن تقطيعين:

التقطيع الأول: الطريقة التي تُرتب التجربة المشتركة لدى كلّ أعضاء مجموعة لسانية معينة ، وأنّه لا يمكننا أن نقوم بعملية التبليغ إلا في إطار هذه التجربة ... وإنّ كلّ وحدة من وحدات هذا التقطيع تمثل معنى وصورة صوتية لا يمكن أن تحلل إلى وحدات متوالية دنيا ذات معنى[٤٩]، إذ تقطع الجملة خطياً إلى وحدات لها معنى (علامات ، جمل ، كلمات ..) ، وتسمى مونيمات ، نحو: فرّ جون المسكين .

{ran away Jonh Poor} تحلل الجملة إلى مكونين مباشرين هما :

- Jonh Poor جون المسكين.
- away ran فرّ.

ثمّ يقسم كلّ منهما على مكونين مباشرين بحيث نحصل على أربعة مكونات هي :

Jonh - Poor - away- ran

ثمّ تحلل away إلى مكونين نهائين هما : A - way

بحيث يمكن لكلّ واحد منها أن يتبدل في المستوى نفسه بمونيمات أخرى على الخط الاستبدالي ، أو يمكن أن توجد في مكان آخر مركبة من مونيمات أخرى على الخط الكلي { الأفقي} "[٥٠]، فالتقطيع الأول هو نتاج إلزامي؛ لكونه فرض وجود المستوى التركيبي ، قال : " إننا لنلاحظ ما يمثل هذا التقطيع الأول من اقتصاد ، ويمكننا أن نفترض نظاماً من التبليغ قوامه تناسب وضع ما معين ، وظاهرة تجربة ما ، لصرخة خاصة ، لكنّه بمجرد التفكير في ما لا نهاية له من تلك الأوضاع ، وتلك الظواهر المتعلقة بالتجربة نفهم أنّ ذلك النظام يمكن أن يقوم في المهام نفسه التي تقوم بها الألسن البشرية ، وإنّه يجب أن يحتوي على عدد من الأدلة المتمايزة بقدر مهول لا تستطيع ذاكرة الإنسان حفظه ، وإنّ بعض ألاف الوحدات مثل (راس - وجع - وني - وي) قابلة لسعة التأليف تمكننا من تبليغ عدد من الأشياء أكبر مما تمكننا منه ملايين الصرخات المختلفة ، وغير القابلة للتقطيع"[٥١].

التقطيع الثاني :عملية تقوم نتيجة التقطيع السابق لكلّ وحدة من الوحدات الدالة (المونيمات) تقطع بدورها إلى وحدات صغرى غير دالة بمفردها فالإشارة اللغوية قابلة للتحليل على وفق تتابع وحدات مميزة غير دالة ، وأنّ الوحدات التي تنجم عن التقطيع الأول بدوالها ، ومدلولاتها هي أدلة ، وأدلة دنيا ؛ لأن كلّ واحدة منها لايمكن تحليله إلى متوالية من الأدلة[٥٢]،

ك ..... ت..... ب

شكل صوتي

كلّ منها غير قابل للتحليل ، وليس فيه أيّ دلالة

شكل صوتي

شكل صوتي

ويرى (مارتينه) أن الاقتصاد اللغوي يبدو واضحاً في التقطيع الثاني قال : " يلاحظ ما يمثله التقطيع الثاني من اقتصاد فإنّ كان علينا أن نجعل لكلّ وحدة دالة دنيا ما يناسبها من نتاج صوتي خاص ، وغير قابل للتحليل ، فإنّه يلزمنا أن نميز بين الآلاف منها ، وهذا ما لا يتوافق مع القدرات النطقية ، ولا مع حاسة السمع للكائن البشري ، فبفضل التقطيع الثاني يمكن للألسن أن تكتفي ببعض عشرات إنتاجات صوتية متميزة تؤلف بينها ؛ لتحصل على صور صوتية لوحات للتقطيع الأول "[٥٣].

علم الأصوات - الفونولوجيا -

يُعدّ (ابن جني) الرائد الأول من علماء العربية ممن أفرد للأصوات بحثاً مستقلاً في كتابه { سرّ صناعة الإعراب} ، وهو أول من أطلق لفظ { علم } على الدرس الصوتي ، إذ جعله علماً قائماً بنفسه قال : " هذا القبيل من هذا العلم ..أعني علم الأصوات ، والحروف ، له تعلق ومشاركة الموسيقى ؛ لما فيه من صنعة الأصوات ، والنغم "[٥٤]، فهذا أن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الأصوات درس أساسي من دروس علم العربية ، ومن ذلك يكون علم الأصوات عند(ابن جني) يدلّ على الصورة التي رسمها للمصطلح الأوربي المقابل له وهو الفونتيك{phonetigue } ، وسماه كما ذُكر{ الدلالة اللفظية } ، والدرس الصوتي عنده جاء على النحو الآتي :

الأولى : الفونتيك { Phonetigue } ، والفنولوجيا {Phonology} ، إذ يرى الدكتور (كمال بشر) أنّ هذين المصطلحين على الرغم من أنّ استعمالهما جنباٍ إلى جنب ، لكنّ الباحثين وقفوا مواقف مختلفة فيما يتعلق بمفهوم كلّ منهما وبيّن تلك المواقف على النحو الآتي[٥٥]:

- إنّ مصطلح الفونتيك { Phonetigue }، يعني دراسة أصوات اللغة { أية لغة } من جانبها المادي الصرف ، لذا قرر بعضهم أن هذه الدراسة الأنسب أن تدخل في إطار الفيزياء لا في إطارعلم اللغة.
- الفونتيك { Phonetigue } خاص بدراسة أصوات الكلام ، والفنولوجيا {Phonology} مختصّ بأصوات اللغة.

- وأصحاب هذا الرأي فرقوا بينهما تفريقاً منهجياً ، فخصّ الفونتيك { Phonetigue } للدراسة الوصفية ، والفنولوجيا {Phonology} للدرس الصوتي التأريخي.

ويلخص الدكتور(بشر) إلى أنّ المصطلحين يعملان معاً في مجال واحد ، وهو دراسة أصوات اللغة ، وإن وجد فرق فيتمثل في أنّ الفونتيك خطوة ممهدة للانتقال إلى الفونولوجيا ، فالأول يجمع المادة الخام ، والثاني يخضع هذه المادة للتقعيد[٥٦].

- الذي يرى أنّ الفونتيك { Phonetigue } يُعرف بعلم الأصوات اللغوية ، وهذا العلم يدرس الأصوات البسيطة بوصفها وحدات صوتية مجردة منعزلة عن السّياق الصوتي التي ترد فيه ، في حين أنّ الفنولوجيا {Phonology} يعني علم أصوات اللغة الوظيفي ، أي : يبحث في وظائف اللسان البشري[٥٧].

وعُرف الفونتيك { Phonetigue } عند(ابن جني) بعلم الأصوات ، وهوعلى هذه الصورة التي رسمها لهذا العلم جاء سابقاً للمصطلح الأوربي المقابل له ؛ لكونه وصف الأصوات اللغوية على عضوي ، وعرّف كلّ عضوٍ وسماه باسمه {الرئتان، الحنجرة ، الحلق ..إلخ} ، وتحدث عن مخارج الأصوات ، وصفاتها ، وحركة الوترين أثناء النطق على أساس فيزيائي من طريق توصله إلى العناصر الثلاثة المؤثرة في عملية النطق[٥٨]:

- وجود جسم في حالة تذبذب.
- وجود وسط ناقل للتذبذب .
- وجود مستقبل لتلك الذبذبات .

وعُرفت الفنولوجيا - علم الأصوات الوظيفي - عند (ابن جني) حينما درس العلاقة بين الصوت ومعناه ، فبيّن وظيفة كلّ صوت ، ومن ثمّ كيفية تنظيم تلك الأصوات ، إذ إنّ علم الأصوات بملاحظته الحسية يكون مقدمة ، وتمهيداً لعلم الأصوات الوظيفي الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات[٥٩]، والفنولوجيا عنده تعتمد على تغيير مواقع الحروف داخل الكلمة الواحدة ، أو كما يقال : استعمال المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ ؛ لكي يطرأ تغييراً على معنى الألفاظ ، فتغيير أي حرف إنّما يعني تغيير معناه ، وهذا ما أطلق عليه (فيرث) الوظيفة الصوتية الصغرى - القاصرة - ، التي تقابلها الوظائف الكبرى المعجمية ، والصرفية ، والنحوية ، ووظيفة سياق الحال " الدلالية " [٦٠] على الرغم من أنّ (ابن جني) يعدّها أقوى الدلالات ، وذكر في ذلك أمثله منها :

- قوله في الخصائص : " كان أبو عليّ يقوّي قول أبي الحسن في نحو قولهم : إنّي لأمر بالرجل مثلك : إنّ اللام زائدة ، حتى كأنّه قال : إنّي لأمر برجل مثلك ، لمّا لم يكن الرجل هنا مقصوداً معيّناً ، على قول الخليل : إنّه تزاد اللام في المثل ، حتى كأنّه قال : إنّي لأمر بالرجل المثل لك ، أو نحو ذلك ؛ قال : لأنّ الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية ، أي أنّ اللام (في قول أبي الحسن) ملفوظ بها ، وهي في قول الخليل مراده مقدّرة "[٦١]
- ذكر الفرق بين { جفا وجفأ } ، قال : " قد جفا الشيء يجفو ، وقالوا : جفأ الوادي بمائه ، ففيهما كليهما معنى الجفاء ؛ لارتفاعهما ، إلا أنّهم استعملوا الهمزة في الوادي لما هناك من حفزه ، وقوة دفعة "[٦٢].
- ما جاء في مباحث النبر والتنغيم ، فالنبر في قوله : " سِير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل ، وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصفة لما دلّ على موضعها ، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك ، وانت تحس هذا من نفسك إذا تأملته "[٦٣]، إذ إنّ كلامه ،

ومضمونه يؤديان مفهوم النبر[٦٤]، وأمّا التنغيم فأشار إليه في أكثر من موضع منها قوله : " من ذلك لفظ الاستفهام ، إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك : مررت برجل أيّ رجلٍ ، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهماً ، وكذلك مررت برجل أيّما رجل ؛ لأنّ ما زائدة ، وإنّما كان كذلك ؛ لأنّ أصل الاستفهام الخبر ، والتعجب ضرب من الخبر ، فكأنّ التعجب لمّا طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله: من الخبرية"[٦٥].

وميّز (مارتينه) بين أصوات اللغة الفونتيك { Phonetigue } ، و الفنولوجيا {Phonology} ، على الرغم من اهتمامه كان منصباً على الفنولوجيا ربّما لاعتقاده أنّ المصطلحين متحدان ، أو لكون أنّ أحدهما مكملاً للآخر ، والفونتيك {Phonetigue } عُرف عنده كما عُرف عند (ابن جني) دراسة الأصوات ، ووجد عند(مارتينه) على النحو الآتي:[٦٦]

- في التفريق بين الكلام ، واللغة ، فهو ينحو منحى (سوسير) في التفريق بينهما فالكلام عندة أداة التواصل ، واللغة بوصفها نظاماً من العلامات تزخر بإشارات .
- علم الأصوات عنده هو دراسة التصويت وبصورة عامة ، أي : اشتغالية الأعضاء التي تشترك في نتاج أصوات اللغة الإنسانية وفي تلقيها ، وعندما يدرس علم الأصوات على سبيل المثال ، الأصوات التي يقال لها صائتية فهو يكون إزاء لا متناه من التحقيقات المختلفة المدرجة ضمن نتاجاتها القصوى ، والنتاجات الصوتية قد تكون بطبيعة الحال في الألسن من الأصوات ، وتجميعها في كلمة واحدة .
- ميز من وجة نظر وظيفية بين التنغيم والنغمية والنغمات[٦٧]:
- تتصنف هذه العناصر الثلاثة من وجهة نظر لسانية من الأشد مركزية إلى الأكثر هامشية ، وتلعب النغمات دوراً قطعياً في إثبات هوية الوحدات البليغة ، وتشكل بشكل علمي صفات لألسن عديدة ، فالتنغيم ما بقي من المنحى التناغمي بمجرد أن تغطى الضرورات ذات الطابع النغمي ، والنبري إذا أردنا أن يكتسب دلالة لسانية بمجرد أن نغض النظر عن الفونيمات والنغمات والنبرات ، والنغم سمة مختصّة بالمنحى التناغمي الذي يشكل محصّلة ضرورية لتذبذبات المزمار يقال عن النغمات : إنّها تناغمية حينما تكون سمتها الملائمة في الاتجاه العائد لجزء من المنحى التناغمي : صاعد ، هابط ، أو موحّد ، في حين أنّ التنغيم يتطلب بالإضافة إلى ذلك المشاعر التي يبديها المتكلم بخصوص ما يُبلغه ،
- خلص من هذا التميز إلى أمرين : أحدهما : أنّ التنغيم لا يشكل في الحقيقة جزءاً من الرسالة اللغوية ، ولكنّه يوفر إشارات حول الطريقة التي يتفاعل من خلالها المتكلم بالنسبة إلى التجربة التي هي منبت الرسالة ، ويمكن للتنغيم أن يؤمن معلومات بالنسبة إلى شخصية المتكلم ، وطبعه ، وأصله الاجتماعي ، والآخر: هو أنّ النغمية هي الفصل الأكثر تعقيداً في الفونولوجيا ؛ لأنّ من يدرسون الألسن يسعون طبيعياً إلى بناء تحليلاتهم ، وتصنيفاتهم على الطبيعة الفيزيائية للمدونة[٦٨].
- النبر: قال في ما يخصّ النبر إنّه :" يمكننا أن نبرز ميزات مقطع ما بتلفظنا إياه على درجة كبيرة من الشدّة والدقة ، وبنوعية تصويت أشدّ ارتفاعاً ، أو بزيادة مدته ، والمقطع المنبور في الإنكليزية لايمكن أن ينتهي بصائت قصير(المقطع المنبور في كلمة Protestoni هو - Prot ،وليس - Pro يشير إلى أنّ الطول يساعد أيضاً في إبراز

المميزات المقطعية ، وبما أنّ ثمة كثير من الكلمات لا تكون أبداً منبورة ، فيفضل الكلام عن { الوحدة المنبورة } التي تُحدُّ لكلّ لسان خاص على أنّ القطعة المتّصفة بإبراز الميزات حقيقياً أو افتراضاً على واحد من مقاطعه"[٦٩].

- دراسته الدقيقة لصفات الأصوات أنفسها إذ يذكر أمثلة منها عند حديثه عن الفونيم " /r/ الفرنسي يتحقق مثل /r/ يتردد طرف اللسان لدى كثير من البورغموتيين ، وهو يتحقق مثل/R/ تردد اللهاة في استخدامات بروفنسالية أخرى ، وكذلك مثل /R/ انسيابي لهوي عند الباريسيين ، ومثل /Y/ انسيابي ظهري لدى الأنتيبيين "[٧٠].

- من الملاحظ أنّ (مارتينه) كان يميل إلى الجانب التطبيقي إذ حاول توظيف - الفونولوجيا - في المجالات التطبيقية ، ويذكر لذلك امثلة منها : اللفظة Rcpcror في هذه الصيغة الصائت /c/ الموضوع بين /- p-/ و/- r- / له جرس الصائت الذي في rc في Rcpcrc il الصائت /E/ في هذا الموقع له جرس ذلك الذي في Grcs؛[٧١]، ويرى أنّ التمييز الذي يمكن إقامته بين الصائتين/u/ و /y/ في الفرنسية أو التركية، هو تمييز يصلح للفرنسية والتركية، وهذا لا يعني أنّ هذه الأصوات ليست موجودة في غير السن ، ففي الروسية مثلاً لديك أصوات /y/ وأصوات/ u/ ، ولكنّها تماثل الفونيم نفسه[٧٢]، وفي ضوء ذلك فهو يرى أنّ الفونولوجيا تحتفظ من بين الخيارات النطقية كلّها بعدد معين قابل لتحقيق نتاجات قابلة لتعيين هويتها سمعياً ، إنّها تلك الخيارات التي يستخدمها المتكلون ؛ كي يميزوا مختلف الأحداث المعنوية ، بمقابلة بعضها مع بعض ؛ وكي يثبتوا تباينات بين تلك الوحدات التي تتابع في السلسة الكلامية[٧٣].

أنّ علم الأصوات يبحث عن قيم هذه الأصوات ، ووظائفها في اللغة ، ويعود الفضل في ظهور هذا العلم في المدارس اللسانية إلى حلقة براغ ، ولاسيما (مارتينه) الذي ركز على الجانب الوظيفي لهذا العلم ؛ لكونها الطريقة المبتكرة التي يستفيد بوساطتها كلّ لسان من الموارد التصويتية ؛ كي يؤمن التواصل بين مستخدميه ، ويرى أنّه يتوجب على عالم الفونولوجيا الذي يصف لساناً ما أن يحدد مختلف الطرائق التي بمقدور الفونيم نفسه أن يحقق من خلالها على وفق السّياقات ، وحتى على وفق المتكلمين[٧٤]، وهذا العلم بحسب رأيه يعالج الحقائق الفونولوجية في لسان ما وعلى هذا تكون الفونولوجيا هي الأساس - اختباراً - لبنية الدلالات[٧٥].

الخاتمة:

للسانيات الوظيفية مكانة مهمة في الدراسات اللغوية ، تناولها علماء اللغة من القدامى والمحدثون ؛ لكونها تهتم بدراسة اللغة البشرية ، وكيفية الاتصال داخل المجتمع الواحد ، وتتعقب تأريخ اللغة ، وتطورها صوتياً و صرفياً وتركيبياً ودلالياً ؛ ولكونها الأساس لبنية اللغة وتأليف الكلام .

تطرقت في هذا البحث إلى الجوانب التي تختصّ بـ { الجانب الوظيفي} للغة عند عالمين اثنين{ ابن جني وأندريه مارتينه} ، وخلص البحث إلى نتاجات أهما :

- لم يخرج علماء اللغة عن تعريف(ابن جني) للغة على الرغم من الاختلاف الزمني ، والبيئي ، إذ إنّها { أداة التفكير} التي يُعبر بها عن الغرض .

- استندت المدارس الألسنية الأوربية ، ولاسيما مدرسة براغ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مسألة التفريق بين اللغة ، والكلام التي ذكرها (ابن جني)، ربّما نجد الفرق بطريقة التحليل التي أنمازت بها مدرسة براغ ، ولاسيما (مارتينه) .
- إنّ هذه النظرية { الوظيفة اللغوية } بدأت كما ذكرتُ على يدّ (الخليل) ، وتلميذه (سيبويه) ، وتجلى ذلك واضحاً في نظرية العامل ، كما وجد الملمح عند (الجرجاني)في نظرية التعليق .
- وجد الباحث تقارباً بين (ابن جني ومارتينه) في المسائل الآتية :
- اجتماعية اللغة وتواصليتها ، فكلاهما يتفق على أنّ المجتمع هو الذي يخلق اللغة ، وإنّ اللسان من يخلق التواصل بوجود القدرة اللغوية .
- التقطيع المزدوج ، اتفق العالمان على أنّ التقطيع المزدوج يكون على مستوى الدال والمدلول ، ورد عند (ابن جني) في تقسيمه للدلالات (لفظية ، وصناعية ، ونحوية) ، و(مارتينه) يرى أنّ كلّ ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية، لابدّ أن تُحلل إلى متوالية من الوحدات ، فلكلّ منها صورة صوتية ومعنى .

لم يختلف الباحثون على أنّ أول من أطلق لفظ { علم } على الدرس الصوتي هو (ابن جني) إذ عُرف فيما بعد بـ {الفونيتك} ، فيما أطلق على {علم الأصوات الوظيفي } بـ { الفونولوجيا } ، أشار إليهما (مارتينه) بالدراسة ، والتحليل وبالأخص تفريقه بين التنغيم ، والنغمية ، والنغمات .

الهوامش:

١- ينظر العين 8/169 ، ولسان العرب 1/460 و 461 .
٢- مقاييس اللغة 6/116 .
٣- الصحاح مادة 4/ 1439 .
٤- - علاقة البنية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي ، هدى بن عزيزة ، ص14.
٥- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، ص35 .
٦- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص118 .
٧- ينظر الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج العربية في التعليم ، ص111.
٨- ينظر أصل النحو ، ص 189 .
٩- اللغة العربية معناها ومبناها ص 189 .
١٠- المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي س 14 .
١١- ينظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص109 110 و111.
١٢- المصدر نفسه ص108 .
١٣- ينظر النحو الوظيفي ص27 .
١٤- اللسانيات الوظيفية ، ص104.
١٥- ينظر النحو الوظيفي ص20 .
١٦- ينظر الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص10 .
١٧- من البنية الجملية إلى البنية الكونية : الوظيفة المفعول ، ص5 .
١٨- ينظر مدخل إلى علم اللسان الحديث (3)، ص54.

١٩- ينظر الوظائف التداولية في اللغة ص 10 ، و ينظر المنحى الوظيفي ص 20 و 21 .
٢٠- ينظر الوظائف التداولية في اللغة ص 10.
٢١- ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص22
٢٢- اللغة والمجتمع ، ص6 .
٢٣- ينظر اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، ص100 .
٢٤- الخصائص ، ص 1/33 .
٢٥- المصدر نفسه ، ص44/1 .
٢٦- المصدر نفسه ، ص238/1 .
٢٧- المحتسب 1/292 .
٢٨- . اللغة والمجتمع ، ص5 .
٢٩- ينظر المصدر نفسه ، ص6 .
٣٠- النظرية اللغوية العربية الحديثة ، ص٦١.
٣١- ينظر مبادئ في اللسانيات العامة ، ص 14 ، ووظيفة الألسن وديناميتها، ص61 إلى 65 .
٣٢- ينظر وظيفة الألسن وديناميتها، ص39.
٣٣- ينظر المصدر نفسه ، ص 65 و 158 .
٣٤- ينظر المصدر نفسه ، ص 95 و96 .
٣٥- ينظر اللسانيات النشأة والتطور ، ص123 .وجهود فريدنان دي سوسير في علم الدلالة ، ص20.
٣٦- ينظر وظيفة الألسن وديناميتها، .
٣٧- ينظر علم الجمال اللغوي ، ص180
٣٨- ينظر علم الدلالة ، بييرجيرو، ص108 .
٣٩- ينظر ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني ، ص63 .
٤٠- سرّ صناعة الإعراب 1/19.
٤١- الخصائص 1/49 و320 .
٤٢- ينظر الخصائص ، 3/ 98 .
٤٣- الخصائص 3/101 .
٤٤- ينظر الدلالة الصوتية والدلالية الصرفية عند ابن جني ، ص80 .
٤٥- الخصائص ، 2/161 .
٤٦- مبادئ في اللسانيات العامة ، ص18 .
٤٧- المصدر نفسه ، ص24 .
٤٨- المصدر نفسه ، ص20.
٤٩- المصدر نفسه 18 و19 .
٥٠- سمات الاقتصاد اللغوي في العربية - دراسة وصفية تحليلية- ، ص10.
٥١- مبادئ في اللسانيات العامة ، ص18 .
٥٢- ينظر الألسنية - علم اللغة الحديث - قراءات تمهيدية ، ميشال زكريا ، ص44 ، و مبادئ في اللسانيات العامة ، ص20 .
٥٣- المصدر نفسه ، ص19 .
٥٤- سرّ صناعة الإعراب ، 1/ 22.
٥٥- ينظر علم الأصوات ، ص9 و10 .
٥٦- ينظر المصدر نفسه ، ص10 .

٥٧- ينظر المعجم المفصل في علوم اللغة ، ص 431 .
٥٨- ينظر ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني ، ص16 .
٥٩- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 35 و47 .
٦٠- ينظر الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، ص70 .
٦١- الخصائص ، ص99 و100 .
٦٢- المصدر نفسه ، 2/160 .
٦٣- المصدر نفسه ، 2/ 370 و371 .
٦٤- ينظر الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، ص 75 .
٦٥- الخصائص ، 3 / 269.
٦٦- ينظر وظيفة الألسن ، ص10، و15 و110 ، و257 ، و268 .
٦٧- وظيفة الألسن ، ص 275 و 277 و 278 و279.
٦٨- ينظر المصدر نفسه ، ص 281 .
٦٩- ينظر المصدر نفسه ، ص 278.
٧٠- وظيفة الألسن ، ص258 .
٧١- ينظر مبادئ اللسانيات العامة ، ص72 .
٧٢- ينظر وظيفة الألسن ، ص87.
٧٣- المصدر نفسه ، ص257
٧٤- ينظر المصدر نفسه ، ص 257 و258 .
٧٥- ينظر المصدر نفسه ، ص259 .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، 2004 .
- الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج العربية في التعليم ، عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، ع/3 ، 2000 .
- أصول النحو العربي ، الدكتور محمد خير الحلواني ، الناشر الأطلسي ، الرباط ، ط2 ، 1983 .
- أصول النحو العربي . الدكتور محمد علي الحلواني . الناشر الأطلسي ، ط2 ،1983
- الألسنية - علم اللغة الحديث - قراءات تمهيدية ، ميشال زكريا ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، ط2 ، 1985.
- جهود فريدنان دي سوسير في علم الدلالة ، عبلة شريفي ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة منتوري قسنطينة ، 2011 .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ، المكتبة العلمية ، 1952 .
- الدلالة الصوتية والدلالية الصرفية عند ابن جني ، عبد الكريم مجاهد ، مجلة الفكر العربي ، العدد 26 ، 1982 .
- سرّ صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : الدكتور محمد حسن إسماعيل ، وأحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 2000م .
- سمات الاقتصاد اللغوي في العربية - دراسة وصفية تحليلية ، وردة غديري ، ءسالة ماجستير ، كلية الآداب / جامعة الحاج لخضر- باتنة ،2003 .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين - بيروت ط3 ، 1984م .
- علاقة البنية بالوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي ، هدى بن عزيزة ، رسالة ماجستير ، كلية اللغات والآداب ، جامعة منتوري قصطنينة ، 2006 .
- علم الأصوات ، الدكتور كمال بشر ، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، 2000 .
- علم الجمال اللغوي (المعاني - البيان - البديع) ، محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، 1995 .
- علم الدلالة ، بيير جيرو ، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق 1988م .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، سلسلة المعاجم والفهارس .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النصّ) ، الدكتور أحمد المتوكل ،دار الأمان الرباط ، 2001 .
- لسان العرب ، لابن منظور محمد بن مكرم بن على ، دار صادر- بيروت ، ط 3 ، 1414 هـ
- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، الدكتور نعمان بوقرة ، ط1 . عالم الكتاب الجديد ، أربد - عمان ، 2009م .
- اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مؤمن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر .
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، أحمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1989.
- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ط/3 ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1998 .
- اللغة والمجتمع ، الدكتور علي عبد الواحد وافي ، مكتبة عكاظ السعودية ، ط4 ، 1983.
- المحتسب فيي تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، 1999م .
- مدخل إلى علم اللسان الحديث ، عبد الرحمن الحاج صالح مجلة اللسانيات ، الجزائر، المجلد الثاني ، العدد 1 ، 1972 .
- المعجم المفصل في علوم اللغة (اللسانيات) محمد التنوحي ، وراجي الأسمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 2001م .
- معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،1399هـ - 1979م .
- ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني من خلال كتبه : الخصائص ، وسرّ صناعة الإعراب ، والمنصف ، رسالة ماجستير ، سمرة بن موسى ، كلية الآداب واللغات / جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ،2012 م .
- من البنية الجملية إلى البنية الكونية : الوظيفة المفعول في اللغة العربية ، الدكتور أحمد المتوكل ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1987 .
- المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي الأصول والامتداد ، الدكتور أحمد المتوكل ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2006 .
- الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، جعفر دك الباب ، مطبعة الجليل ، دمشق ، 1980 .
- النظرية اللغوية العربية الحديثة ، جعفر دك الباب ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، سوريا ،ط1 ، 1996 .
- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، الدكتور أحمد المتوكل ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 .
- وظيفة الألسن وديناميتها ، أندريه مارتينه ، ترجمة نادر السراج ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2009 ،